

الوضعية العامة للجزائر

قبيل الاحتلال

إعداد بكار العايش

المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة الجزائر

ليس من السهل على الباحث تقييم الفترة التي شهدت الحكم العثماني في الجزائر أو ما يطلق عليه البعض العهد العثماني في الجزائر، خاصة أمام تضارب الآراء والأحكام إضافة إلى طول هذه الفترة (بين 1516 و 1830) الذي يجعل من الصعب جدا إصدار حكم عام، وذلك تجنباً للوقوع فيما وقع فيه البعض إذ نجد أنفسنا غالبا أمام رأيين أو تيارين كلاهما قد يكون متطرفا في حكمه ففي حين يرى أصحاب الرأي الأول في العهد العثماني بالجزائر بروز وتشكل الجزائر بشكل واضح سياسيا وجغرافيا (الدولة) يرى أصحاب الرأي الآخر الجزائر في هذا العهد مجرد قوة بحرية قائمة على القرصنة استمدت قوتها من مركز الخلافة القوي ثم استقلت عنه تدريجيا وأصبحت مصدر إمداد له في مراحل لاحقة ، فهل كانت الجزائر دولة عسكرية مركزية تعتمد على عائدات الجهاد البحري كمورد أساسي؟ هل كانت دولة وطنية أم تسلطية عسكرية؟ هل كان المجتمع الجزائري طبقيا؟ وهل سعت السلطة المركزية إلى التحالف مع أصحاب الطرق والزوايا وشيوخ القبائل وأوجدت ما يعرف بالقبائل المخزنية؟ هل كان لهذه السلطة مشاريع اقتصادية واجتماعية وثقافية (مشروع حضاري وطني)؟ ألم يكن لهذه السلطة في فترة ما مهمة واحدة هي جمع الضرائب عندما نضب معين الجهاد البحري؟... إن الإجابة على هذه الأسئلة الأولية وتحديد نخط الحكم والنظام الإداري للجزائر في العهد العثماني وممارسة أصحاب الوظائف بدءا من الحاكم نفسه، ومعرفة كيفية تولي هؤلاء تفضي بنا إلى القول أنه إذا كان الحكم على العهد العثماني كله صعبا فإن تقييم المرحلة الأخيرة^(*) منه لا يبدو كذلك حيث نستطيع رسم صورة الانحيار التدريجي للجزائر في ظل الحكم العثماني وهو ما بدءا

واضحاً في وضع الجزائر العام عشية الاحتلال الفرنسي الذي لا يمكن أن نصفه إلا بوضع "القابلية للاستعمار" خاصة في ظل تنافس شرس بين بريطانيا وفرنسا خاصة، وفي ظل المؤشرات التي لم تكن خافية على حكام الجزائر إلا أنهم لم يتخذوا حيالها أي إجراء أو استعداد لمواجهة، ولم يكن أولها تصريحات بعض القادة الفرنسيين ووضعتهم للمشاركة والمخططات. ولا التكاليف الأوروبية على الجزائر، كما أن قضية الديون والحصار البحري (1827-1830) لم يكن آخرها.

1- الوضع السياسي:

نعني بالوضع السياسي الوضع الداخلي الذي كانت عليه الجزائر سواء من ناحية السلطة ومدى الفساد والفوضى والاضطراب الذي وصلت إليه، والذي لم تكن الكثير من مظاهره جديدة ولكنها استشرت في الفترة الأخيرة كشراء المناصب مثلاً والتنافس عليها وعدم الاستقرار، أو من ناحية الرعاية التي ضاقت ذرعاً بممارسات هاته السلطة التي كانت تجرد "المحلات" لجمع الضرائب والنهب خاصة مع شح موارد الجهاد البحري وهو ما أدى إلى قيام عدة ثورات والتي لم تقتصر على أواخر العهد العثماني فقط ولكن أخطرها نشب مع مطلع ق 19 والتي يرى البعض أنها كانت بدعم خارجي في إشارة خاصة إلى سلاطين المغرب العلويين لكن الأقرار بهذا السبب كعامل رئيس يبرئ ساحة الحكام الأتراك في الجزائر وربما بجانب الحقيقة، والملاحظة أن الكثير من هذه الثورات كانت زعاماتها دينية (صوفية) وهي الزعامات التي عملت السلطة على التحالف معها في بداية الأمر لتوسيطها لدى السكان لجمع الضرائب ومنحت كذلك عدت امتيازات كالإعفاء الضريبي لكنها سلبت هذه الثروات ولكن قبل ذلك لنلقي نظرة على مدى ما وصل إليه نظام الحكم نفسه، كما سنخرج على دور اليهود، المرتبط بفساد الحكام، في إضعاف الإيالة.

أ - الاضطراب والفوضى وفساد نظام الحكم:

هل يمكن القول أن الجزائر لم تعرف الاستقرار في نظامها الحاكم طيلة العهد العثماني؟ ذلك ما تشير إليه أغلب المصادر سواء الغربية منها أو العربية وكذلك الدراسات الحديثة وإن كان بعضها يخص الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بهذا الحكم إذ يرى البعض أنها تميزت بعدم استقرار جهاز الحكم وكثرة الاضطرابات التي عمقها الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي وتجلت هذه الاضطرابات في كثرة تعاقب الحكام الذين تميز جلهم بالضعف وعدم الكفاءة⁽¹⁾ إلا أن الملاحظ أن الكثير

من مظاهر فساد الحكم العثماني لا يقتصر على الفترة الأخيرة كالصراع على السلطة وشراء المناصب وكثرة الانتفاضات داخل الجيش والصراع بين الأتراك والكراغلة، ومرجع ذلك أن الكثير من الهيئات في جهاز الحكم لم تكن تؤدي وظيفتها، إذ يرى حمدان خوجة مثلاً، أن الأتراك ارتكبوا خطأ، فادحا عندما تركوا السلطة المطلقة بين أيدي الباشوات مما جرّد الديوان من كل قوة وسلطان وجعله كلا شيء في حين أنه أنشئ لمراقبة الباشوات ومساعدة الحكومة عن طريق تزويدها بالنصائح،⁽²⁾ ولعل ارتباط الحكم بشخص الحاكم وحده هو الذي يجعلنا نقول أن الحكم كان استبدادياً وعنيفاً لأنه كان مرتبطاً بمصالح يحققها الحاكم لنفسه سواء على المستوى المركزي أو حتى الإقليمي خاصة أن منصب الحاكم (الباشا) كان يشترى بالمال ولا بد لمن اشتراه من تحقيق مكاسب مقابل ذلك ولذلك وصم بعض الباحثين طابع الحكم بأنه كان استغلالياً أيضاً⁽³⁾، فعلى مدى الفترات المتعاقبة للعهد العثماني بالجزائر كان حكام الأقاليم يجرّدون الحملات (المعروفة بالحلات) لاستخلاص الضرائب ونهب الأرياف وتسليط العقاب الجماعي على الكثير من المناطق وقد اشتدّت هذه الحلات أواخر العهد العثماني بعد أن شحت الموارد المالية للدولة⁽⁴⁾، ولعل هذا السبب الأخير أي شح الموارد بعد خسائر عائدات الجهاد البحري- هو الذي حوّل أنظلو الحكام تدريجياً وبصورة تصاعدية نحو استغلال موارد الداخل والمغالة في فرض الضرائب والنهب وكان لهذا انعكاساته الاجتماعية حيث أن الحكام الأتراك وإن كانوا قد حققوا في البداية لحمة قوية مع سكان البلاد بواسطة شبوخ الزوايا والطرق وكان ينظر إليهم على أنهم الحماة في ظل التهديد الأجنبي-الإسباني خاصة- كما كان قسم هام وفعال من السكان (الأندلسيون) ينظر إليهم على أنهم المنقذون ولذلك تمكنوا من بسط نفوذهم بل وآزرهم السكان في إفشال بعض الانتفاضات كانتفاضة بن القاضي مثلاً وشاركوهم⁽⁵⁾ بكل قوة في صد الهجمات والتحرشات الأجنبية بدءوا يواجهون ثورات حقيقية عارمة من السكان ذلك لأنهم أرادوا الحدّ من نفوذ أصحاب الطرق والزوايا ومعاداتهم وكان معنى ذلك بكل بساطة معاداة قسم كبير من السكان خاصة في الأرياف والذين كان يرتبطون بهذه الطرق والزوايا.

لا شك أن التعقيد والفوضى⁽⁶⁾ اللتان تميّز بهما التاريخ السياسي للجزائر في العهد العثماني كانتا ستقودان إلى انهيار حتمي، فالداي كان يعيش حياة ترقب مهدداً أمّا بالانقلاب أو القتل من طرف الانكشارية (الوجاق) أو الرياس⁽⁷⁾ فأغلب دايات الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني وصلوا إلى مناصبهم بفضل انقلاب الانكشارية المطالبين بزيادة الأجور⁽⁸⁾ ولا شك أن ذلك أدى إلى كثرة تعاقب هؤلاء

الحكام وبالتالي إلى انعدام الاستقرار وهو ما سيؤثر على جميع مناحي الحياة خاصة الاقتصادية منها وإذا كان هذا حال الجهاز المركزي فإن المناصب إقليميا أصبحت أيضا تباع وتشترى دون مراعاة لكفاءة أو دراية في تسيير شؤون الدولة إذ لم يكن على الذي يريد أن يصبح بايا إلا أن يتوجه لأقارب "الباشا ويمدهم بالأموال..."⁽⁹⁾ ولعل هذه الممارسات هي التي أدت إلى أن يتولى ومنصب الداى بعض ممن كانوا يمارسون مهنا لم تكن لتؤهلهم لتوليه، كالفحامين والإسكافيين والكناسين ومثال ذلك "علي الغسّال" الذي قيل أنه كان يشتغل بغسل الموتى قبل سنة 1808⁽¹⁰⁾، وقد يبدو من الصعب تصديق مثل هذه "الرويات" لكن الصراع على المصالح تنصيب من يمكن التحكم فيه وتحقيقها بواسطة يجعلنا نميل إلى تصديق ذلك كما يبدو من بعض المصادر المعاصرة أن البعض كان مجبرا على تولي المنصب بعد اختياره من طرف الديوان ولا يمكنه التنحي فبالنسبة إليه "لا يوجد في الحياة سوى مكانين العرش أو القبر"⁽¹¹⁾ وكثيرا ما كان القبر مآل العديد من الدايات بعد اغتيالهم كمصطفى باشا الذي قضى عليه سنة 1805 بسبب علاقاته بالأوساط المالية اليهودية ومعاملته التمييزية لهم، وكذلك الداى أحمد الذي قضى عليه سنة 1808 والداى محمد 1814 و الداى عمر آغا 1817.

إن هذه المظاهر من الحياة السياسية التي طبعت الحكم العثماني في الجزائر خاصة في فترته الأخيرة وانغلاق الحكام الأتراك على أنفسهم داخليا⁽¹²⁾ وخارجيا إذ لم يراعوا الظروف الدولية التي كانت في تغير مستمر على جميع الأصعدة، جعلهم يفقدون ثقة الأهالي "فقلت ثقة الأهالي في الحكام والمسؤولين الذين أهملوا مصالح البلاد وأفقروا العباد وانصبت انشغالاتهم بالركض وراء السلطة"⁽¹³⁾ وبالنظر إلى كل ما سبق ذكره يظهر جليا أن المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية كان طبقيا^(*) على رأسه الحكام الأتراك الذين أزاخوا حتى أبنائهم عن الحكم، وفي قاعدته غالبية الشعب الذي أحسّ بالظلم والقهر خاصة في أواخر هذه الفترة التي تميزت بعدم كفاءة الحكام أيضا ولم يكن أمامه سوى التمرد والثورة التي قادها في الغالب من فقدوا امتيازاتهم بسبب محاولات الحد من نفوذهم ونقصدهم بهم رجال الطرق والزوايا وهو ما أدى إلى القطيعة بين هؤلاء و الأهالي المؤيدين لهم و بين الأتراك وهو وجه آخر من أوجه الأزمة التي كانت تعيشها الجزائر أواخر العهد العثماني سياسيا وهو ما سنتعرض له في العنصر الموالي من هذا العرض ولكن قبل ذلك تجب الإشارة إلى أن الفترة العثمانية في الجزائر لم تكن كلها بالقسامة التي يحاول تصويرها عليها البعض وربما كتبرير للاستعمار الفرنسي⁽¹⁴⁾ ولا نملك أن نرد على هؤلاء إلا بعبارة ذات دلالة عميقة

وهي قول حمدان خوجة " اللهم ظلم الترك ولا عدل الفرنسيين"، ولسنا هنا بصدد تقييم الفترة العثمانية بالجزائر ككل بقدر ما نحن بصدد ترصد نقاط الضعف التي أدت إلى الوضع الذي نسميه بوضع "القابلية للاستعمار" حسب مصطلح بن نبي -رحمه الله- كما أن الصورة ليست معاكسة تماما للمشهد الذي يريد ترسيخه الفريق الأول.

ب - الثورات أو (التهديد الداخلي):

أردنا من خلال طرح هذه المسألة استكمال الصورة التي كان عليها الوضع الداخلي فمن الفساد الذي طبع الحكم وبالتالي المظالم التي وقعت منه على عموم الرعية إلى محاولات رفع هذا الظلم والثورة عليه وبالتالي ما يمكن أن نسميه بالتهديد الداخلي للحكم طيلة الوجود العثماني أولهما بالشرق وهي ثورة الشريف بن الأحرش والثانية بالغرب وهي ثورة بن الشريق والأخيرة ثورة التيجاني بالجنوب، والملاحظ على هذه الثورات أنها كانت بقيادة من أصحاب الطرق والزوايا وقد كثرت حولها الآراء خاصة على أسباب وظروف قيامها ومدى ارتباطها بأيلة تونس فإن لدرقاوة ارتباط وثيقا بالمملكة المغربية التي كانت وراء التحريض على القيام بالثورة والوقوف وراءها، ولكن قبل التطرق إلى هذه الثورات كنماذج لا بد لنا من ملاحظة أن الفترة العثمانية لم تخلو من الثورات بل أن الأمر لم يستتب للعثمانيين بالجزائر إلا بعد إخماد العديد منها كحركة ابن القاضي وسالم التومي، وذلك رغم التحالف الذي تمليه ظروف صدّ الخطر والتهديد الخارجي المسيحي عموما وكذلك التحالف المصلحي بين القبائل المخزنية والسلطة لقمع بعض هذه الثورات داخليا، وبطبيعة الحال فإن دوافع هذه الثورات لا تعدو في الغالب أن تكون سياسية أو اقتصادية (أو هما معا)، بسبب تسلّط الأتراك واستفرادهم بالحكم مما نتج عنه من مظالم أوقعت الأتراك في صراع حتى مع أبنائهم (الكراغلة) 1630⁽¹⁵⁾ وكذلك بسبب محاولتهم الحد من نفوذ شيوخ القبائل أو بتحريك من أطماع خارجية واقتصادية بسبب سياسة الأتراك الضرائبية وحملات النهب (المحلات) أو فقدان الامتيازات بالنسبة لبعض شيوخ الطرق والزوايا، ومن هذه الثورات مثلا ثورة سويد (المحال) نواحي الشلف وثورة بن الصخري بالشرق والجنوب الشرقي، وثورة الحراكته النمامشة 1797 وثورات زواوة (جرجرة 1810 و 1823 وثورات الأوراس وسوف بين 1818 و1823⁽¹⁶⁾ .

1- ثورة الشريف بن الأحرش:

أنّ ترعم بن الأحرش لهذه الثورة التي عمّت شرق البلاد لم يكن ممكناً لولا تجمع عدة عوامل منها الوضع العام للرعيّة وكذلك التحريض والدعم الذي لقيه من باي تونس وقبل ذلك الشهرة التي أكتسبها فهو كما تذكر بعض المصادر "من عرب المغرب الأقصى رحل من بلاده للحج، ولما أجلب نابليون الأول على مصر جمع ابن الأحرش جيشاً من أعراب المغريين وأفريقية وانضم إلى الجنود المصرية لقتال نابليون وأبلى في تلك الحروب بلاء حسناً فأكتسب الشهرة ولما انقلب نابليون إلى فرنسا قفل ابن الأحرش راجعاً إلى المغرب وحلّ بتونس ولقبه صاحبها حمودة باي فأكرم نزله وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر" فمحمد بن عبد الله بن الأحرش وهو اسمه الكامل والذي ادعى أنه من شرفاء ملوك فاس⁽¹⁸⁾ التقى "حمودة باي" وهو من حرصه -حسب ما أورده الزهار- على الثورة، بقوله "إنّ رجلاً مثلك شجاع يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر ويترعها من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"⁽¹⁹⁾ ولعلّ الرجلان قد وجد كل منهما في الآخر ما كان يسعى إليه فابن الأحرش وجد الدعم اللازم للشروع في الإعداد للثورة بينما كانت أهداف حاكم تونس ذات علاقة بالأطماع التي كانت تبديها تونس في الشرق الجزائري آنذاك وهو أحد أوجه التهديد الخارجي، أو على الأقل و هذا ليس هدفاً بسيطاً - شغل الحكام في الجزائر وكذا ابن الأحرش نفسه عن التفكير في القيام بأي عمل تجاه تونس، وتذهب بعض الروايات إلى أنّ الإنجليز قد ساعدوه وبعضها يرى أنهم لم يوفوا بوعودهم بالمساعدة لأنّ أنصار ابن الأحرش انهزموا لعدم توفر الأسلحة لديهم⁽²⁰⁾ وقد دخل ابن الأحرش عن طريق عنابة ومنها إلى جيجل حيث بدأ يخطط لثورته⁽²¹⁾ وكعادة الثائرين من الطرفين فبعد أن تسلّح ابن الأحرش بادعاء النسب الشريف على عادة الثائرين الطامحين للعرش في المغرب، فإنه تسلّح بسلاح نافذ ومؤثر آنذاك لحشد الأنصار وهو ادعاء الكرامة والحصانة من العدو وأنّه مستجاب الدعاء وقد وافق ذلك هوى في أنفس البسطاء من الناس فكسب من الأنصار - حسب العتري- عشرات الآلاف⁽²²⁾ وهاجم قسنطينة في غياب حاكمها الباي عثمان الذي كان في محلة نواحي سطيف⁽²³⁾، ولكنه انهزم ومع ذلك كان على عثمان باي ملاحظته بأمر من الداوي⁽²⁴⁾ إلّا أنّ جيش عثمان باي انهزم بعد أن انحصر في "وادي الزهور" بنواحي القل الذي أوحلت ساحته عندما حوّل ابن الأحرش مياه الأمطار نحوه وقتل الباي نفسه في المعركة سنة 1804 وغنم جيش ابن الأحرش أموال خزينة البايлик التي حملها الباي معه⁽²⁵⁾ إلّا أنّ هذه الثورة وضع لها حد من طرف مصطفى

باشا باي قسنطينة الجديد بعد حوالي عام من المطاردة، والتحق محرّكها بالدرقاويين في الغرب الجزائري بزعماء بن الشريف، إلى أن قتل على يد بعض أصحابه⁽²⁶⁾ ولا شك أن من عواقب هذه الثورة اهتزاز صورة الحكام الأتراك وهو ما يفسر توالي الثورات بعد ذلك.

2- ثورة ابن الشريف:

إن الحديث عن أسباب هذه الثورة قد يفضي بنا إلى التكرار ولكننا سنحرص على تفادي ذلك حتى وإن كانت هذه الأسباب تندرج تحت الإطار العام الذي أصبح يميز الحكم التركي والذي دفع الناس إلى الخروج عليه فهي محصورة بين السياسي والاقتصادي أي لاتعدو أن تكون فساد النظام السياسي وانغلاقه وبالتالي انعزاله أو عزلته ثم سياسته الضريبية المجحفة كما أن هذه الثورة أيضا كان وراءها الدعم الأجنبي ونقصه به على الأخص الدور العلوي (الشريفي) المغربي الذي تتوقف طموحات سلاطينه في المناطق الحدودية الغربية الجزائرية. كما أن المغرب كان يتوجس دائما من الطموح العثماني في مدّ النفوذ إلى المحيط وحال دون ذلك حتى انحسار الوجود العثماني عن شمال إفريقيا وقد رفضت المملكة الشريفة الاعتراف بالسيادة العثمانية على العالم العربي والإسلامي⁽²⁷⁾ وقد شملت هذه الثورة مناطق الغرب الجزائري وامتدت لفترة ليست بالقصيرة (بين 1805 و1817) وتزعّمها عبد القادر بن الشريف المعروف بابن الدرقاوي من من قرية أولاد بليل دري بزواوية القيطننة القادرية لكنه سافر بعدها إلى المغرب واتصل بمولاي محمد الدرقاوي وأخذ عنه الطريقة⁽²⁸⁾ وتذكر بعض المصادر أنه اشتكى جور الأتراك لشيخه فقال له هذا الأخير "عليك بجهادهم وقتالهم وأن الله ينصرك عليهم بكمالهم"⁽²⁹⁾ واتبع بن الشريف نفس أسلوب بن الأحرش - الذي التحق به - في تجنيد الاتباع وحشد الناس "وكاتب العرب في أمر القيام على الترك وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له كرامات"⁽³⁰⁾ ومن أشهر المعارك التي خاضها الدرقاويون معركة فرطاسة (قرب معسكر) ضدّ الباي مصطفى حيث انهزم فيها (الجيش التركي) شرّ هزيمة⁽³¹⁾ وجعل بن الشريف من معسكر مقرا له وكثر اتباعه بعد انتصاره هذا وانظمت له القبائل حتى المخزنية منها كما يذكر الزباني -محمد بن يوسف- واتجه بن الشريف لحصار مدينة وهران نفسها ولكنه لم يتمكن من اقتحامها "فلما ضعف أمره وتراجع عنه اتباعه انتقل إلى قبيلة" بني يزناسن "على الحدود المغربية وبقي يقيم هناك إلى أن توفي"⁽³²⁾ وقد أكّدت هذه الثورة النتائج التي حققتها

سابقته على الأقل على المستوى النفسي حيث ظهر ضعف الحكام الأتراك جلياً كما أصبح واضحاً مدى السخط العام عليهم حيث أن السكان (الرعيّة) قطعوا طرق النجديات على باي وهران والتي أرسلها باشا الجزائر بقيادة علي آغا وكاد يهلك كما قام الكراغلة ضد الأتراك في تلمسان⁽³³⁾. وقد عمدت السلطات التركية إلى مراسلة⁽³⁴⁾ سلطان المغرب للتأثير على الدرقاوي وحثه على وقف الثورة كما استعمل الأتراك المصاهرة مع القبائل ذات الصلة بالثورة فقد صاهر المقلش (الباي) خصمه قدور بن الصحراوي زعيم الحشم⁽³⁵⁾ كما أن كثرة المناوشات وتعدد المعارك أدخل الملل في نفوس الاتباع إلا أنه ما كادت هذه الثورة تنتهي حتى اندلعت ثورة أخرى قام بها التيجانية.

3- ثورة محمد التيجاني:

التجّ محمد بن أحمد المختار التيجاني - وهو من عين ماضي قرب الأغواط⁽³⁶⁾ - مع والده وشقيقه إلى المغرب الأقصى ولما توفي والده عام 1815⁽³⁷⁾ عاد إلى الوطن، وقد كان لجوءه ربما بسبب تضيق الحكام الأتراك على أصحاب الطرق والزوايا للحد من نفوذهم بعد الثورة التي قام بها الدرقاوة، ولذلك فإن رجوعه أربح حكومة الجزائر خوفاً من خروجه عليها لأن والده صاحب طريقة صوفية فبعث "حسن باشا" إلى حاكم قسنطينة للقبض عليه إلا أن محمد التيجاني نجح بنفسه و تمكن من الرجوع إلى عين ماضي سالماً⁽³⁸⁾ وتوالى حملات الأتراك على محمد التيجاني الذي قام بتحريض القبائل في الجنوب الوهري ضد بايلك الغرب فقد كاتب بني عامر وبني شقران والبرجية الغرابية والزمالة والدوائر وكذلك النواحي الشرقية للوقوف معه إلا أن هذه القبائل امتنعت عن اتباعه⁽³⁹⁾ إلا أن بعض القبائل اتبعته ومنها قبائل الحشم - كما يذكر محمد بن الأمير - فلما أتم استعداداته خرج معهم نحو معسكر فواجهه حسن باي - حاكم وهران - في معركة قرب غريس⁽⁴⁰⁾ ويذكر الزياني أن الباي أغدق العطاء لآعيان الحشم وكافة العرب "فتفرقوا عنه وتصدى الباي لجيش التيجاني القليل واشتد القتال بين الطرفين فقتل التيجاني"⁽⁴¹⁾ ويمكن الادعاء أن المملكة الشرفية قد ساندت أيضاً هذه الطريقة وبالتالي الثورة بطريقة مباشرة أو عن طريق التحريض نظراً لكثرة تردد أحمد وولده محمد الكبير التيجاني بين فاس وتلمسان وعين ماضي فقد رحب السلطان سليمان بالشيخ أحمد "وأحضره وأعطاه دار كبيرة وراتبا - ويذكر الناصري صاحب الاستقصاء- أن التيجاني اشتكى إليه "جور الترك وظلمهم"⁽⁴²⁾.

لقد ساهمت هذه الثورات في تسارع انهيار الحكم التركي بالجزائر بلا شك كما أن ممارسات هذا الحكم هي التي أدت إلى اشتعال هذه الثورات التي كان الأتراك يواجهونها بالقمع بدل محاولة الفهم وتغيير السياسات وأنماط الحكم التي أفرزت هذه الثورات التي قضت عليها الحكومة التركية لأنها كانت متعددة تعدد الطرق والزعامات في الجزائر وبالتالي محصورة في جهات معينة - وإن هدد بعضها دار السلطان - أو إقليمية كما أنها واجهت منفردة الحكومة التركية رغم أن هذه الأخيرة قد ضيّقت على أغلب الطرق الصوفية و لهذا ربما كانت هذه الثورات ضدّ قوة ظالمة أو تعسفية تبشّر (١) بنمط في المواجهة سيظل سائدا ضدّ قوة غازية بعد وقت ليس بالطويل.

وقبل أن نختم حديثنا عن الثورات تجدر الإشارة إلى ما اعتبره الأستاذ سعد الله "أقسى ثورة واجهها العثمانيون في الجزائر والتي وقعت سنة 1830 وقد طمع الحضر في الحكم بعدهم ومدوا أيديهم إلى فرنسيين لمساعدتهم على استلام السلطة السياسية من العثمانيين، وخرج البعض ينتقد تصرفاتهم، كاحمد بوضربة وحمدان خوجة ... وقد خرج العثمانيون من الجزائر غير مأسوف عليهم من قبل أغلب السكان" (43)، ولكن ألم يثبت أن حمدان بعد أن جرّب لفرنسيين قد قال: "اللهم ظلم الترك ولا عدل الفرنسيين".

لم تواجه الجزائر هذا التهديد وهذه الفوضى المنذرة بالانهيار التدريجي فقط بل واجهت تهديدا داخليا هو الآخر إلا أن عناصره الفاعلة دخيلة ويعدّ أخطر من كل هذه الثورات لأنه كان أحد مبرراتها كما أدى إلى أضعاف موقف الإيالة وانهيارها ويبدو أنه كان انهيارا مبرجا، ونقصد به الدور الذي لعبه اليهود وتوالت حلقاته بدءا من احتكار التجارة ولا أقول انتهاء بالاحتلال (44)، والحقيقة أن هؤلاء ما كانوا ليلعبوا هذا الدور لو لا وجود حكام ضعفاء مسلوبو الشخصية والإدارة (44) ومتنفعين همهم تكديس الأموال.

4 - اليهود: التهديد الأخطر:

يبدو من الواضح أننا قد أصدرنا حكما قاطعا في هذه المسألة بل لنقل بالأحرى أننا وصلنا إلى هذا الانطباع من خلال بعض القراءات لكتابات موضوعية في المسألة وبالتالي فهو حكم في الحقيقة صادر عن باحثين أكثر خبرة وتعمقا في دراسة هذه المسألة ذلك أن هدفنا ليس البحث الدقيق (في هذه المسألة) بقدر ما هو

الإشارة إلى خطورتها وإثبات دور اليهود في أضعاف الإيالة والعمل على خلق ذرائع للتدخل الفرنسي حتى أنه بإمكاننا رسم المنحنى البياني للانهيار ولو ذهبنا من خلال المفردات و الأسماء بكري، بوشناق ليفورن (دخلاء) احتكار، خشب، قمح، ديون، مراسلات، مروحة، حصار احتلال وإلضفاء المصادقية على هذه الصورة فلننصف إليها: ضعف انحلال، قمع (الحكام)، تشتت، أزمت (الرعية).

كانت الفرصة جدّ مواتية في ظل الاضطراب والفوضى الداخلية للتجار اليهود لبسط نفوذهم المالي والسياسي في الجزائر بعد أن "استعملوا كل الوسائل لكسب ودّ حكامها، من الهدايا الثمينة والمساعدات المالية إلى التجسس في الداخل والخارج" (45) وأصبح لديهم نفوذ موزع بين بكري (*) تجاريا وبوشناق سياسيا والذي أصبح يؤثر في تعيين كبار الموظفين فالداي مصطفى قيل عنه أنه كان كناسا ورفع اليهود إلى منصب الداى (46) بل أصبح - بكري وبوشناق - يتوسطان بين الجزائر وبعض الدول في المساعي السياسية والدبلوماسية كتوسطهما ومساعيها لدى الخزناسي ووكيل الحرج لمنع إعلان الحرب ضدّ فرنسا وجهودهما لمساعدة الرعايا الفرنسيين الأسرى. (47)

إنّ أخطر مسألة ترتبت على احتكار هؤلاء اليهود للتجارة والتصدير والاستيراد هي ما أصبح يعرف بقضية الديون إذا أقرضت الحكومة الجزائرية فرنسا عام 1796 بدون فوائد لشراء الحبوب، وقد وسطت فرنسا بكري وبوشناق اللذين تحصلا على أهم امتياز في الجزائر عام 1794، وهو حق شراء وبيع الحبوب من الجزائر ليقوما بدفع الثمن بدلها إلى الحكومة الجزائرية (48) وضمن ما أسمىناه بالانهيار المبرمج فإن التاجرين قدما تسهيلات في الدفع حين احتاجت فرنسا لتموين الحملة على مصر ولكن توتر العلاقات بسبب الحملة حال دون ذلك، وقد نصت معاهدة 1801 بين البلدين على ضرورة تسديد فرنسا لديونها إلا أنها لم تلتزم وتماطلت في القضية (48).

تعمّدت قضية الديون وأدّت إلى عدة مراسلات بين حكومة الجزائر والحكومة الفرنسية، وأدّت الاحتكارات والنفوذ والامتيازات اليهودية إلى رد فعل شعبي عنيف تمثل في مقتل التاجر بوشناق نفطالي من طرف أحد الانكشارية (الجنود) ولعل العبارة التي ذكرها الجندي عند قتله بوشناق تدل دلالة واضحة على مدى ما وصل إليه هؤلاء من نفوذ إذ قال له وهو يقتله "تحية إليك يا ملك الجزائر" (*) وقد استقبل مقتل التاجر بارتياح باعتباره مسؤولا عن القحط والمجاعة فقد قام بتصدير

الحبوب بكميات كبيرة أضرت باحتياطي الجزائر⁽⁴⁹⁾ ولم يتوقف الأمر عند مقتل نفطالي (بوشناق) حيث اتسع نطاق الانتقام ليشمل الحي اليهودي وقتل عدد من اليهود، وهو ما أدى إلى موجة قمع قام بها الذي انتهى مقتولا أيضا لنفس الأسباب سنة 1805 وبتأمر من أحمد خوجة الذي تولى الداي مصطفى بعده⁽⁵⁰⁾. وقد أدى ذلك إلى هجرة الكثير من العائلات اليهودية إلى تونس وليفورن. أثبتت قضية الديون من جديد في عهد الداي حسين (1830/1818) الذي راسل الحكومة الفرنسية بشأن الديون لكنها تماطلت وتعمدت بواسطة القنصل ديفال DUVAL استفزازه⁽⁵¹⁾ وكانت أسطورة المروحة الشهيرة ومنها الحصار في شهر جوان 1827 "فهل كان ذلك هو الرد الفرنسي على "ضربة المروحة" التي وجهها داي الجزائر إلى القنصل الفرنسي دوفال؟ بالطبع لم يكن ذلك إلا مجرد ذريعة فبالإضافة إلى أنه ليس من المؤكد وقوع الحادثة، فإن غضب الداي كان مبررا فهو يعتبر أنه قد خدع في قضية مالية... في حين قررت الحكومة تصفية الدين المترتب عليها -بعد 20 سنة- فإن هذه التصفية تجاهلت لمصلحة رجال صوريين الدائن الرئيسي للأخوة البكري^(*): الا وهو الداي نفسه"⁽⁵²⁾، و هكذا ساهم اليهود في أضعاف الايالة وتحطيمها اقتصاديا وسياسيا من الداخل و كانوا السبب الرئيسي في الخلاف بين فرنسا والجزائر أو لنقل أعطوا المبرر أو الذريعة لما بعد الخلاف واستمر دورهم هذا طيلة الفترة الاستعمارية.

إن الضعف الذي وصلت إليه الايالة وحالة الفوضى والاضطراب أطمعت الكثير من الدول في التحرش بها لمخططات استعمارية أو للانتقام مما كان يفرضه عليهم الأسطول الجزائري أيام قوته فتعددت الحملات والتي لم تشمل أواخر العهد العثماني فقط بل أنها تفاقمت بعد ضعف الأسطول رغم ظهور قادة عظام مثل رايس جميدو وانشغال أوربا بحروب نابليون ما أدى إلى انتعاش جزئي للأسطول⁽⁵²⁾.

II - الوضع العسكري والتحرش الأجنبي (التهديد الخارجي):

1 - الوضع العسكري:

ونقصد به الوضع العسكري الداخلي وخاصة البحرية ومدى ما وصلت إليه من تدهور وقد ربطناه بالتحرش الأجنبي لما لهما من علاقة وقد نبين من العنوان مدى الضعف لأنه لولا ذلك لما تفاقمت التحرشات غير أن الجزائر شهدت حملات بحرية عليها حتى في الفترات التي لم تكن فيها بحريتها ضعيفة.

أشرنا سابقا إلى الانتعاش الذي عرفته البحرية بداية ق 19 بسبب انشغال أوروبا (بين 1815/1805) بالحروب النابليونية وظهور شخصية الرئيس حميدو، إلا أن حملة اللورد أكسموث EXMOUTH جاءت لتقضي على ما أنجز إلا أن جملة من العوامل ساهمت في القضاء على الأسطول وكذلك إضعاف الجانب العسكري ككل نحاول إيجازها في النقاط التالية :

- الانغلاق العثماني، والتقدم التقني الأوروبي الذي مكن من تطوير الأساطيل الأوروبية ومن ثم مواجهة الأسطول الجزائري.
- تدهور صناعة السفن في الجزائر بسبب احتكار اليهود لتجارة الخشب (حصل على حق الاحتكار 1799) واستغلالهم للغابات بين بجاية والقالة وتعتمد سياسة الأجور الزهيدة للعمال الامتناع عن نقل الخشب إلى دور صناعة السفن وتكديسه على الشواطئ معرضا للتلف⁽⁵³⁾.
- نقص مداخل البحر (الجهاد البحري) تدريجيا أدى إلى الضغط على الموارد الداخلية وأدى الى فوضى واضطرابات وسياسات اقتصادية نتجت عنها المجاعات والأوضاع الصحية المتردية و التوجه نحو الجندية عوض العمل في البحر (لم يعد يدر الأرباح) وهذا أدى إلى تناقص عدد العاملين في البحرية حيث "لم يجد الفرنسيون عند استلاءهم على مدينة الجزائر 1830 سوى 35 قاربا صغيرا و3 قاليوطات على وشك الانتهاء من صنعها في الترسانة البحرية، و 2500 بحار أغلبهم غير قادر على ركوب البحر والتصدي للسفن المعادية"⁽⁵⁴⁾.
- التحالف الأوروبي ضد القوى الإسلامية بالمتوسط بدعوى محاربة الرق والقرصنة وقد تمكنت الدول الأوروبية من محاصرة الدول الإسلامية إثر قرارات مؤتمر فيينا 1815 واكس لا شايل 1818.
- تعرض الأسطول الجزائري لعدة ضربات وانكسارات إثر الحملات الأجنبية على الجزائر كالحملة الأمريكية 1815 والحملة الإنجليزية 1816، والضربة القاصمة التي تلقاها في معركة نافرين 1827 وكان يحارب إلى جانب الأسطول العثماني ضد أساطيل الحلف الثلاثي (الروسي، الفرنسي، الإنجليزي) حيث تحطمت معظم قطعه⁽⁵⁵⁾.
- تحول الجهاد البحري عن أهدافه من نجدة للمسلمين وحماية لثغورهم إلى طلب المغنم والمكاسب والربح المادي، وقد قابله أيضا (بريا) فساد الجيش الانكشاري الذي تحدث عنه حمدان خوجة في مرآته فبعد أن كان المندوبين يرسلون إلى زمير لجمع الأجناد من التزهاء - حسب الطريقة القديمة أصبحوا يفتحون أبواب

المليشيات لأي كان وكان من بين المبحدين يهود ويونانيين ختنوا أنفسهم (56) ولا شك أن جنودا بهذه المواصفات لم يكن همهم سوى المال فأصبحوا مصدر للفوضى والتمردات باستمرار (57).

- التناقص المستمر في عدد الجيش ومن أسباب ذلك تردي الوضع الصحي وانتشار المجاعات والأوبئة حيث قَدَّر بونان BOUTIN سنة 1808 قوات الداى في حالة الحرب بـ 60 ألفا على الأكثر (58) وتذكر بعض الدراسات أن عدد الانكشارية سنة 1830 كان أقل من 1500 (59) ولعل ذلك يفسر أيضا برغبة الباب العالي مركزيا وحتى الديات القضاء على الانكشارية كما فعل السلطان محمود II (1839/1808) عام 1826، والداى علي خوجة بالجزائر الذي حاول استبدالهم بجنود محليين سنة 1817 (60).

- توجيه القوات والجهد نحو الثورات الداخلية وقمعها وهو ما أثك هذه القوات كما وسع الهوة بينها وبين الرعية أكثر، وهو ما حاولت استغلاله - نفسها - الدوائر التي أعدت البيان الموجه للجزائريين عشية الحملة.

2- التحرشات الأجنبية التهديد الخارجي:

أ - تونس والمغرب:

إن التهديدات الخارجية الجدية هي تلك التي كانت من قبل الدول الأوروبية الناهضة والمتنافسة استعماريا والمتربصة بالجزائر إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أعطى مؤتمر فيينا 1815 ثم مؤتمر أكس لا شابيل 1818 كل تلك القوى مبررات الهجوم على الجزائر، لذلك فإننا بالنسبة لتونس والمغرب سنكتفي بالإشارة إلى نزاعهما مع الجزائر في هذه الفترة والتي لم تكن في مستوى جدية وخطورة التهديدات الأوروبية كما أنها تلاشت تدريجيا خضعت تونس إلى الحكم العثماني بعد الجزائر التي لعبت دورا في هذا الخضوع بل أن تونس كانت تتبع الجزائر لفترة ليست بالطويلة، ولذلك فإن الصراع بينهما يعود أساسا إلى التنافس بين حكام البلدين، أما بالنسبة للمغرب فمن الواضح أن التنافس لم يكن المحرك الوحيد للصراع الذي أججته أيضا أطماع المملكة الشريفة في الغرب الجزائري سواء في العهد السعدي أو العلوي كما كان من أسبابه أيضا سعي هؤلاء إلى أبعاد الأتراك عن بلادهم وكثير تدخلاتهم فيها (*) كما أنهم كانوا يرون أنهم الأولى بالحكم من هؤلاء الأعاجم.

كان ثقل الصراع بين تونس والجزائر يتركز - بحكم موقع الإقليم - على بايات الشرق - قسنطينة - وأحيانا يتدخل فيها الدايات - دار السلطان - وكثيرا ما

انتهى الصراع إلى دحر بايات تونس، وأدى ذلك أحيانا حتى إلى فرض حكومات موالية للجزائر كتنصيب علي باشا على تونس عام 1735. بمساعدة حسن باي قسنطينة أو فرض اتاوات مقابل المساعدة في افتكاك الحكم على تونس كما حصل مع أبناء حسين باي عام 1786⁽⁶¹⁾، كما هددت تونس في بعض الأحيان مركز بابلوك الشرق، ومع تجدد الصراع سنة 1806 هاجم حمودة باشا قسنطينة 1808 وحاصرها مدة سبعة عشر يوما في حين هاجم الرئيس حميدو بعض الموانئ التونسية في نفس السنة، وبقي النزاع متواصلا إلى أن وضع الباب العالي حدا له عام 1817⁽⁶²⁾، وأما بالنسبة للمغرب فقد تكررت محاولات الهجوم على الجزائر ولم تتوقف عند الحدود الغربية ونذكر منها محاولات مولاي إسماعيل عام 1694 وهزيمته على يد الداوي شعبان ثم في سنة 1703 م وانتهزاه أمام الداوي مصطفى باشا⁽⁶³⁾.

ب - الدول الأوروبية و الولايات المتحدة:

1- التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني:

تعد الحملات الأوروبية الأكثر خطرا وتهديدا على مستقبل الايالة ولم تكن كلها بدافع الانتقام أو بتفويض من مؤتمرات أوروبية لا طلاق الأسرى ووقف القرصنة بل كانت تحركها أيضا حسابات دولية في إطار التنافس على مناطق النفوذ خاصة بين بريطانيا وفرنسا، فالعلاقات بين الجزائر وفرنسا كانت عادية قبل حملة بونابرت على مصر 1798 التي استغلها الإنجليز لصالحهم في العمل عن طريق الباب العالي على توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا وهو ما حصل في النهاية تحت تأثير الرأي العام وإلحاح السلطان العثماني حيث أعلن الداوي مصطفى الحرب ضد فرنسا في 1798/12/21⁽⁶⁴⁾، ورغم ذلك استقبل القنصل الفرنسي "ديواتانفيل" D.THANINVILLE واتفق معه في 18 جويلية 1800 على ضرورة إبرام صلح، وقد ردّ الإنجليز على ذلك برقية عبّر فيها الأميرال الإنجليزي "كيث" KHEITH عن اندهاشه من استقبال الحكومة الجزائرية لممثل دولة هي أكبر عدو للمسلمين وطالب بطرده، إلا أنه ورغم هذه المساعي البريطانية تم إبرام معاهدة سلم بين البلدين (فرنسا والجزائر) في 1801/09/17⁽⁶⁵⁾، وعندما توترت العلاقات مع بريطانيا بسبب طرد القنصل الإنجليزي فالكون FALCON من الجزائر 1804 وطلبت استبداله وهددت بريطانيا بإرسال حملة بقيادة الأميرال "نيلسون" NELSON لقصف المدينة ثم تراجع، حاول تانفيل استغلال هذا التوتر والوصول به إلى حالة الانفجار بدون جدوى لأن الجزائر حصرته الأزمة في إطارها الثنائي ولم تسمح لأية جهة باستغلالها لخدمة

مصالحتها.⁽⁶⁶⁾ بعد نقض صلح "أميان" AMIENS - عقد سنة 1802 بين فرنسا وبريطانيا ونقض سنة 1803 - وتجدد الحروب بين الدول الأوروبية وانتهز الأسطول الفرنسي في معركة "الطرف الأغبر" TRAFALGAR عام 1805 استغلت الجزائر الوضع لمراجعة الامتيازات من جانبها المالي خاصة و ذلك برفع الإتاوات، وابلغ الداى أحمد باشا في شهر ديسمبر 1806 القنصل "تائفيل" أن الإنجليز يعرضون مبلغ 40 ألف قرش أسباني للحصول على حق استغلال الامتيازات الإفريقية وأنه سيمنحها للفرنسيين أن هم دفعوا مبلغا أكبر⁽⁶⁷⁾ ولكن الوضع الذي أصبحت عليه فرنسا وخاصة تجربتها بعد انضمامها المتتالية وتكبدها خسائر كبيرة منذ الحملة على مصر وحتى 1805 اثر على وضعها المالي والتجاري ولم تكن مستعدة لدفع مثل هذا المبلغ ، ولذلك منحت حكومة الجزائر الامتيازات الإفريقية للإنجليز وسحبته من الفرنسيين دون انتظار ردهم وكان ذلك في 02 جانفي 1807⁽⁶⁸⁾ وربما يعد ذلك من باب الردّ على المعاهدة مع روسيا "تليت" سنة 1807 فمن بين ما جاء فيها "أن مدن إفريقيا مثل تونس والجزائر تحتل ن طرف الفرنسيين ..."⁽⁶⁹⁾، ومع هذا فإن فرنسا استرجعت حق استغلال الامتيازات سنة 1817 - بعد تغير الوضع فيها وعودة الملكية لآل البوربون، إلى الحكم - بعد الحملة الإنجليزية الهولندية على الجزائر وحرق الأسطول غدرا- لأن الأسطول بقيادة الإنجليزي اكسماوت كان يحمل الراية البيضاء، راية المفاوضين ولذلك سمح له بالدخول للميناء حيث بلغت السلطات الجزائرية القنصل "مادوناولد" MC-DONALD سحب الالتزام من الإنجليز وفأوض دوفال بيير P-DUVAL لمدة طويلة حتى تم التوصل لاتفاق في 26 مارس 1817⁽⁷⁰⁾، وقد وقفت فرنسا محايدة أثناء الحملة الإنجليزية على الجزائر حيث أوصت قنصلها دوفال بعدم التدخل أبلغته بتوجه الحملة نحو الجزائر⁽⁷¹⁾ وكان ذلك في صالحها في إطار الصراع بينها وبين بريطانيا والذي أضعف الجزائر وأدخلها دائرة الصراع بين قوتين متنافستين تبادلا الهجوم عليها فإن كان الإنجليز قد وجهوا ضدها حملة 1816 ثم حملة أخرى سنة 1824 فإن الفرنسيين لن يتوانوا بعد ذلك في حصارها بين 1827/1830 بعد نضوج فكرة الحملة على الجزائر، وسنعرض لنماذج من هذه الحملات والتحركات حسب تسلسلها التاريخي بدءا بحملة الوم أ سنة 1815 ثم الحملة الإنجليزية الهولندية سنة 1816 (فالحملة الإنجليزية سنة 1824).

2- الحملة الأمريكية 1815 :

توقفت اليوم أ عن دفع الضريبة السنوية (المعلوم) التي ضلت تدفعها الجزائر منذ 1795 حتى سنة 1810⁽⁷²⁾ وكان ذلك نتيجة منطقية لإدراك اليوم أمدى ما وصلت إليه الجزائر من ضعف لذلك قرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الولاية الجزائرية خاصة بعد أن أبرمت اليوم أ معاهدة سلم مع بريطانيا سنة 1814 (قنت) حيث جهزت فرقتان بحريتان بقيادة "وليام بانريدج" و "ستيفان ديكاطور" والذي غادر الوماً نحو المتوسط في ماي 1815⁽⁷³⁾ طرقة إلى الجزائر انطلاقاً من جبل طارق اصطدام الأسطول الأمريكي بسفينة جزائرية استسلمت بعد مقتل قائدها "الريس حميدو" ثلاثون بحاراً من رجاله⁽⁷⁴⁾ وذكر الزهار أنهم أسروا سفينة أخرى وأرسلنا مع الأسرى إلى قرطاجنة وكان لمصير السفينتين والرئيس حميدو وقعها على الجزائر حيث تفاوض "ديكاطور" مع السلطات بمساعدة شالر وقدموا رسالة من رئيس اليوم أ أو عقد الطرفان معاهدة صلح في جويلية 1815 نصت أساساً على إلغاء الضريبة السنوية وإطلاق الأسرى الأمريكيين ودع تعويضات للأمريكيين في الجزائر، كما استعادت الجزائر السفينتين اللتين أخذهما الأمريكيون⁽⁷⁵⁾ ويذكر شالر أنه نزل البر - مدينة الجزائر - بصفته قنصلاً اليوم أ مفوضاً من رئيسها في حالة توقيع معاهدة سلام بين البلدين⁽⁷⁶⁾.

3- الحملة الإنجليزية 1816 :

اشتهرت هذه الحملة على أنها الحملة الإنجليزية 1816 أو حملة اللورد "اكسموث" EXMOUTH ذلك أنها انطلقت من إنجلترا مجهزة خصيصاً لضرب الجزائر⁽⁷⁾، وكانت فرنسا على علم بالحملة وقد أبرقت لقنصلها دوفال بعدم إبداء الرأي والتدخل كما أسلفنا وذلك في إطار التنافس والصراع الفرنسي البريطاني وذلك لتستعيد امتيازاتها بعد أن تكون بريطانيا قد فقدتها بسبب الهجوم وكذلك لموقفها المحايد هذا، ألا أن الحملة لم تكن إنجليزية فقط، فقد تلقت الدعم من وحدات هولندية رغم الضعف الذي وصلت إليه الجزائر - كما ذكرنا - إلا أن بسبب الحروب النابليونية ولكن ما أن حسمت هذه المعضلة حتى التفتت هذه الدول نحو الجزائر وبمبررات ومصوغات قانونية في نظرها وبتفويض من مؤتمرات أوروبية بدعوى محاربة "الاسترقاق" و "القرصنة" كمؤتمر فيينا 1815 - أو مؤتمر اكس لا شابيل 1818 فيما بعد - وقد شجعها على ذلك أنباء انهزام أسطول الجزائر أمام اليوم أ⁽⁷⁷⁾ وقد تعهدت بريطانيا التي ما تزال تحتفظ بحق استغلال الامتيازات منذ 1806 بعد تخلي

فرنسا - بتنفيذ القرارات بشرط وضع الجزر الايونية تحت تصرفها (78) وأمام نفس السنة وجهت هولندا حملة نحو الجزائر لتحذو حذو أميركا (79) وأمام هذه الهجمات عمل الداى عمر على تحصين المدينة وتعزيز دفاعها بعد الحملة الأمريكية (80)، وقد انتهت الحملة الإنجليزية الأولى (أفريل 1816) بعد تهديد اكسماوات بتدمير المدينة بإعطاء مهلة كما طلبها الداى لمدة 6 أشهر لمشاورة الباب العالي، إلى أن هذه الحملة لم ترضى لا الأوروبيين ولا إنجليز أنفسهم و كانت الحملة الثانية في شهر أوت 1816 (81) وقد انطلقت الحملة من إنجلترا "PLYMOUTH" وانظم إليها الأسطول الهولندي في جبل طارق، بقيادة "فان كابيلاان" VAN CAPPELLAN (82) وقد ترتبت على هذه الحملة خسائر فادحة قد تعتبر قاصمة الظهر بالنسبة للأسطول الجزائري ولا يمكن هنا إرجاع السبب فقط للخديعة البريطانية - رفع العلم الأبيض بدعوى التفاوض - بل أن السبب الأهم هو سماح السلطات الجزائرية - الداى - بتموقع القطع البريطانية الهولندية في انتظار الرد على الإنذار مما مكن الأسطول المهاجم من ضرب الميناء والتحصينات وقد أدى الهجوم إلى مقتل أكثر من 1500 مدني زيادة على تحطيم الأسطول والرافعات والأضرار الكبيرة الأخرى (83).

انتهت حملة اللورد اكسماوث بعد خضوع السلطات الجزائرية لشروط ومنها إطلاق سراح الأسرى المسيحيين وإعادة مبلغ 350 ألف دولار للملك نابولي وسردينيا دفعت من قبل كفدية وإبطال استرقاق الرعايا المسيحيين (84) وقد كان لنجاح هذه الحملة صدى كبير في أوروبا حيث تذكر بعض المصادر أن اكسماوث تلقى التهنة من الباب شخصيا كما تلقى الكثير من الألقاب والهدايا من دول أوروبا وهو ما يظهر الروح الصليبية لهذه الحملات حتى أن جمعية تحرير العبيد في فرنسا انبت التنافس الفرنسي الإنجليزي وضربت ميدالية تخلد الذكرى عليها صورة اكسماوث (85).

4 - الحملة الإنجليزية عام 1824:

اتخذت بريطانيا من مؤتمر فيينا 1815 سندا لمهاجمة الجزائر في حملتها على الجزائر 1816، وفي هذه المرة أخذت تفويضاً من الدول الأوروبية المجتمعة (86) في مؤتمر "اكس لا شابل" AIX LA CHAPPELLE هي وفرنسا للاتصال بدول شمال إفريقيا وإنذارها بوجوب وقف العمل بنظام القرصنة وإلا فإن إجراءات حاسمة ستخذ ضدها (86) وقد رفضت الجزائر الامتثال لقرارات المؤتمر ورأت أن من حقها تفتيش السفن الأجنبية وفي عام 1823 فرضت الرقابة على الهيئات الأجنبية في الجزائر، وقد احتجت بريطانيا على ما أسمته أعمال الحكومة الجزائرية في أكتوبر 1823 حين عمدت

السلطات الجزائرية إلى إخراج الثائرين الذين لجأوا إلى القنصلية البريطانية والإيطالية بالقوة بعد رفض قنصلي البلدين تسليمهم⁽⁸⁷⁾ واعتبرت الجزائر ذلك تدخلا في الشؤون الداخلية، وتدخلت بريطانيا بإرسال السفينة (نيادا) بقيادة القبطان "سبنسر" SPENCER للتفاوض مع الجزائر وفرض شروط جديدة رفتها الجزائر ففرضت بريطانيا حصارا على السفن الجزائرية واشتبكت مع إحداها بقيادة "قدور باصون" في جانفي 1824⁽⁸⁸⁾ وقد قاومت كما يذكر شالر ببسالة، ثم قامت بريطانيا بإرسال أسطول حربي بقيادة "هاري نيل" HARRY-NEAL في فيفري 1824 الذي فرض حصارا على الجزائر حتى يوقع الداي على تصريح مذل للجزائر أغرب ما فيه إعفاء خدم القنصل من الضرائب واعتبار القنصل البريطاني - غير المرغوب فيه - عميدا للقناصل المسيحيين⁽⁸⁹⁾ ودام حصار الإنجليز للجزائر ستة أشهر لم يغير فيها الداي موقفه، وتقدمت قطع من الأسطول البريطاني في الحادي عشر من جويلية 1824 وقصفت المدينة لكن طاردها قطع جزائرية فعادت إلى عرض البحر في 13 جويلية وعاد الإنجليز قصف المدينة - في 24 جويلية - التي غادرها سكانها إلى المرتفعات واستبسل الجنود في الدفاع عن المدينة مما أضطر الإنجليز إلى الانسحاب وإبرام الصلح في 26 جويلية 1824 قبل فيه الداي شروط الإنجليز بعد أن وافقوا على استبدال القنصل ماكدونالد⁽⁹⁰⁾.

لم يتمكن الإنجليز من السيطرة على المدينة أو إحراز نصر كما حدث سنة 1816 لكن عملهم هذا خاصة الحصار الذي دام ستة أشهر أضعف حركة التجارة وحد من إمكانيات ما بقي من الأسطول الجزائري إلا أنه - وهذا هو الأخطر - كان ينذر ولعله يبشر بنمط جديد من الصراع بين الجزائر والدول الأوروبية وهو التذرع ثم فرض حصار بحري وهو ما فعلته فرنسا بعد أقل من ثلاث سنوات حين تذرعت بحادثة المروحة وقضية الديون وضربت حصارا بحريا على الجزائر بين 1827 و 1830 بعد أن رفضت الجزائر أشكال الاعتذار المذل الذي طلبته الحكومة الفرنسية.

هكذا إذا نلاحظ ومن خلال ما تقدم أن كل شكل أو مظهر من مظاهر الضعف والفساد كان يؤدي إلى ضعف وفساد أكثر منه ففساد الحكم والحكام وممارساتهم الاستبدادية وانغلاقهم بل وعنصريتهم غير المعلنة وضعف مردود الجهاد البحري أدى بهم إلى فرض الضرائب بل وتشريع النهب فيما يسمى بالحللات وخحق الرعية وهو ما أدى إلى الانتفاضات والثورات التي قادها أما شيوخ قبائل حوشر نفوذهم أو شيوخ طرق و زوايا ضجروا من تضيق السلطان عليهم كما افتقدوا بعض

الامتيازات التي كانت لهم أيام كانت مداخليل البحر تفيض عن الحاجة وأدت هذه الثورات إلى مزيد من القمع وضعف الجبهة الداخلية كما أدت إلى تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية حيث عمّت الأوبئة والأمراض بل والمجاعات وما زادها تفاقمًا فساد ذمة بعض الحكام إلى درجة جعلتهم - من أجل المال - يوقفون التجارة في أهم المجالات حكرا على اليهود الذين زادوا من تفاقم الوضع و تردي الحالة العامة للشعب سواء التسبب في المجاعة أو القضاء على بعض الصناعات تقريبا كصناعة السفن لأنهم احتكروا تجارة القمح والخشب وتسببوا في الكثير من الفتن التي أدى بعضها إلى مقتل الحاكم نفسه كما حصل سنة 1805 مع الداى مصطفى، إلا أن الفتنة الأكبر التي تسببوا فيها هي ما عرف بأزمة الديون أو مسألة الديون، فإن كان الضعف قد فتح على الجزائر باب التحرشات والتنافس الأجنبي وبالتالي حفزها لمحاولة النهوض وتعزيز دفاعاتها كما فعل الداى عمر، فإن مسألة الديون فتحت عليها باب جهنم الاستدراعات فهذه المسألة كانت مع وليدتها - أسطورة المروحة - الذريعتان الأساسيتان لفرنسا لفرض حصار بحري على الجزائر ومنه إلى تخطيط وتنفيذ الحملة سنة 1830، مع عدم التسليم طبعا - كما توحى بعض الدراسات - باقتصار الأمر على هذه الأسباب ذلك أن الحملة والاحتلال كان مخططا لهما منذ فترة طويلة وعن سابق إصرار وترصد للفرصة السانحة فقط وقد أهدى اليهود - عائلتا بكري وبوشناق - ومن والاهم عن طمع هذه الفرصة لفرنسا.

الهوامش

(*) لا نقصد هنا بالمرحلة الأخيرة فترة الدايات وهو التقسيم الذي درج العمل به والذي لا يعني شيئا بالنسبة للفرد الجزائري في ظل الحكم العثماني، بل نقصد الفترة التي سبقت الاحتلال.

1 عبد الرحمن بن محمد الجليليل: تاريخ الجزائر العام، ج3، دم ج، الجزائر، 1989، ص 453.
2 حمدان بن عثمان خوجة: المرأة تقديم وتعريب وتحقيق: محمد تلغري الزيري، ش و، ن، ت، الجزائر، 1975 ص 154.

3 سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص143.
4 حول هذه الحملات انظر: سعيدوني ناصر الدين / المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، م، و، ك، الجزائر، 1984، ص ص 38/36.
5 سعد الله: المرجع السابق ص 41 نقلا عن هايدو.

6- Alazard (et al) initiation à Algérie Paris 1957. pp 99. 123.

Ibidem أنظر سعيدون / البوعبدل مرجع سابق ص ص 40-41

8 سعيدوني ناصر الدين: موظفو الدولة الجزائر في القرن التاسع عشر م و ف م، الجزائر ص 14.

9 حمدان بن عثمان خوجة: تعريب: م ع الزيري، ش و ن ت، الجزائر 1982 ص 150-151.
10 ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، م، و، ك، الجزائر، 1985، ص 26. حول مهيب بعض الدايات أنظر أيضا:

- ben Achenhou.A : L'état Algériene en 1830, SENED Alger.

11وليام شالر: مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816/1824)، تعريب وتعليق وتقديم: اسماعيل العربي، ش و ن ت، الجزائر، 1982، ص 45.

12 إذ لم يسمح الأتراك للأهالي المشاركة في الحياة السياسية بل أنهم أزاحوا حتى أبنائهم (الكراغلة) من الوظائف السامية نهائيا منذ 1630 كما يذكر حمدان بن عثمان خوجة ، مصدر سابق ص 154.

13 محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبدالكريم، ط، ش و ن ت، الجزائر 1972، ص 15.

14 بعض الآراء المتطرفة مثلا:

- pierre Boyer: «la conquête de l'Algérie» in, Jean Alazard (et Al) OP, cit pp, 125-140

- CH A Julien, Histoire de Afrique du Nord M Tunisie; Algérie, Maroc: de la onquête arabe à 1830, VII, pp 184-5.

ولذي يقول أن 1/10 فقط من الجزائر المالية كان تحت الحكم المركزي التركي؟

15 حمدان بن عثمان خوجة: مصدر سابق ص 154.

16 لنمر حول الثورات أنظر:

- شريف الزهار: مذكرات ... تحقيق أيت مدني- العنتري: القحط والمسغبة في بلد قسنطينة مخطوط BNA 2330.

- أحمد بن المبارك العطار : تاريخ قسنطينة
- Haedo (D.D.de): Histoire des Rois d'Alger, trans, De Grammont H, Alger 1881.
Gammont H(de): Hist: d'Alger sous la domination turque (1515/1830), LEROUX?
Pris 1887.
- سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي
- سعيدوني : دراسات وأبحاث ... إلخ...
- Faraud (CH) : zebouchi et Osman bey, in Rev. Af.t6. 1863.
- 17 محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، شرح وتعليق: ممدوح حقي ج1، ط1، الاسكندرية، 1903، ص 77.
- 18 أحمد بن مبارك (العطار): تاريخ قسنطينة، تحقيق: رباح بونار، الجزائر، 1981، ص 64.
- 19 أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب الجزائر (1836/1754) تحقيق ونشر: أحمد توفيق المدني ش و ن ت، الجزائر 1974، ص 85.
- 20 نفسه ص 85 إلا أن الأستاذ سعد الله يتساءل (منكرا) ما فائدة الإنجليز من أحداث القلاقل في الجزائر العثمانية عندئذ؟ سعد الله: مرجع سابق ص 518.
- 21 محمد العبي الزيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1830/1792، ش و ن ت، الجزائر، 1972، ص 21.
- 22 محمد صالح العنتري: القحط والمسغبة في بلد قسنطينة، مخطوط ب م، و، ح، رقم 2330، ص 3 وحول ادعاءات ابن الأحرش انظر أيضا: ن.د سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، ج 3، م، و، ك، 198، ص 185.
- 23 نفسه: ص 4
- 24 الزيري: مرجع سابق ص ص 29-30
- 25 محمد بن الأمير: مصدر سابق، 77 (يذكر الأستاذ يعد الله مقتل الباي كان على يد جيش عبد الله زبوشي مقدم الرحمانية الذي تحالف مع ابن الأحرش بسبب إلغاء الأعضاء الضريبي عنه من طرف الباي) سعد الله : مرجع سابق، ص 222.
- 26 نفسه ص 77.
- 27 حول العلاقات بين المغرب والجزائر العثمانية أنظر: إبراهيم شحاتة: تطور العلاقات المغربية 1519-1947. الإسكندرية 1981.
- Auguste (c) : L'établissement des Dynasties des chérifs du Maroc et leur-rivalité avec les turcs de la régence d'Alger-1509-1830, Leroux, Prix, 1904.
- 28 سعيدوني: المرجع السابق، ص 80.
- 29 حمد الزياتي (بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، ش و ن ت، الجزائر، 1978، ص 208.
- 30 الزهار: المصدر السابق ص 84.
- 31 يذكر سعد الله: المرجع السابق ص 221: إن المعركة كانت مع الباي محمد المقلش، حول هذه المعركة ونتائجها الزياتي: مصدر سابق.
- 32 محمد بن الأمير: مصدر سابق، ص 76.
- 33 نفسه ص 76.

- 34 سعد الله: المرجع السابق، ص 222، (كما راسلت الباب العالي لطلب الذخائر انظر: عبد الجليل التمنمي بحوث وثائق في التاريخ المغربي (1816-1817) د ت ن 1972.
- 35 نفسه، ص 222
- 36 الزهار: المصدر السابق، ص 195.
- 37 الجليلي: المرجع السابق، ص ص 335-336
- 38 محمد بن الأمير: المصدر السابق، ص 80
- 39 الزباني: المصدر السابق ص 80
- 40 محمد الأمير: المصدر السابق ، ص 247
- 41 الزباني: المصدر السابق ص 247
- 42 سعد اله: المرجع السابق، ص 510
- 43 سعد الله المرجع السابق، ص 224
- (*) ذلك أن دورهم استمر طيلة الوجود الفرنسي وكانت 1870 من أهم محطاته ثم مواقفهم أثناء الثورة وحتى بعد ذلك.
- حول دور اليهود وتأثيرهم في العلاقاتهم في العلاقات مع فرنسا انظر: جمال قنان: العلاقات الفرنسية - الجزائرية 1790-1830، تحف المجاهد، ب ت ، الجزائر.
- Berbrugger (A): L'affaire Bacri d'après un document inédit in Rev. Af. T 19, 1875.
- 44 أحمد سليمان: النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص 74.
- 45 حوله أنظر سعد الله: محاصرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، ط3، ش و ن ث، الجزائر 1982 ص ص 14-15 حول دور اليهود (سياسيا تجاريا) أنظر :
- Julien (CH.A) Marseille et la question d'Alger avant la conquête in R.A. T60, 1919.
- GIS enbeth (M) les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque Turque (1516-1830) in Rev. AF.T96. 1952. (كتاب اليهود).
- Heldesheiner (H) : Grandeur et décadence de la maison Bacri à Marseille in Rev. E.J-T36.
- (*) يذكر الميلي أن اسمه بوخريص وأنه اتخذ اسم بكري بعد تجنسه (فرنسا): الميلي: تاريخ الجزائر في ص 271.
- 46 جمال قنان: مرجع سابق، ص ص 105، 106
- 47 أبو القاسم سعد الله: بداية الاحتلال ... ص 16.
- 48 أرزقي شوتيام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800/180). .. رسالة ماجستير (غير منشورة)، الاسكندرية، 1988.
- 49 جمال قنان: المرجع السابق: ص ، 182 (الهامش) أنظر أيضا:
- يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع الدول وممالك أوروبا (1830/1500)، د.م.ج، الجزائر، 1980. (ص 116).
- (*) ربما استعار أجيريون هذه العبارة عندما قال عن اليهود في إشارته إلى تحكمهم في التجارة الخارجية ... "وكادوا يصبحون ملوك الجزائر" ... أنظر: شارل رويير أجيريون: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت باريس ، 1982، ص 13.

- 50 جمال قنان: المرجع السابق، ص 182.
- 51 مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1964، ص 272.
- 52 جاك فريمون: فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران ترجمة: هاشم صالح، ط1، الأرض للنشر، قبرص، 1991، ص ص 51-52.
- 53 ALI Khallassi: la Marine Algérienne à travers l'Histoire, musée centrale de l'Armée MDN, Alger, 1985 p 35.
- 54 عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، د م ج، الجزائر، 1989، ص 452.
- 55 البوعبدلي : سعيدي: المرجع السابق، ص 46.
- 56 مولود قاسم نيت بالقاسم: شخصية الجزائرية الدولية وهبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985، ص 74.
- 57 حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 149 (طبعة 1982).
- 58 عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، ص 406.
- 59 جمال قنان: نصوص ووثائق تاريخ الجوائز الحديث (1830/1500) المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987، ص 248.
- 60 جون وولف: الجزائر و أوروبا، تر: سعد الله، م و ك، 1986 ص 447.
- 61 سعيدي: النظام المالي ...، ص 131.
- (*) تثبت الكثير من المصادر أن الكثير من ثورات الأدعياء "Prétendants" كان وراءها أو شجعتها الأتراك.
- 62 البوعبدلي/سعيدي: المرجع السابق، ص 42.
- 63 نفسه، ص 73.
- 64 نفسه، حول العلاقات التونسية الجزائرية في عهد الدايات انظر مقال أ. عمار بن خروف في : مجلة الدراسات الترخية، العدد العاشر، 1997 (ملخص رسالة دكتوراه في الموضوع).
- 65 جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830/1619، م و ك، الجزائر 1987، ص 192.
- 66 نفسه، ص 10.
- 67 جمال قنان: العلاقات الفرنسية الجزائرية، ص 171.
- 68 ج قنان: العلاقات ... ص 252.
- 69- نفسه.
- 70 وليام سبنسر: الجزائر عهد رياس البحر، ت ت: عبد القادر زبانه، ش و ن ت، الجزائر، دت، ص 183.
- 71 ج قنان: دراسات في المقاومة والاستعمار/منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1996، ص 264. (في كتابه: العلاقات ... ويد أن اتفاق تم في 15 مار 1817).
- 72 عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1871/1816)، ط1، د ت ن، تونس، 1972، ص 238. جاء في التعليمات التي ورد إلى دوفال "إن البواخر والجيش التي

تحت إمرة اكسماوث قد أفلعت من إنجلترا ومما لا شك فيه أنها متوجهة نحو الجزائر وعليه يجب عليكم أن تبقوا بعيدا عن كل المناقشات والحوادث التي يمكن أن تكون الجزائر مسرحا لها في المستقبل".

73 ألبارديفو : الرئيس حميدو، تر: الغربي الزيري، م ج للطباعة، الجزائر، 1972، ص 90.

74 شالر: المصدر السابق ص 146.

75 أروين راي: العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية 1776-

1816 تر: اسماعيل العربي، ش م ن ت، الجزائر 1978، ص 246.

76 نفسه ص 248

77 شالر: المصدر السابق، ص 127

(*) هذا لا يعني أنها لم تهدد مناطق أخرى حيث جاء في بعض المرجع: "ففي عام 1816 راح أسطول اللورد إيكس ماوت يجري مناورات عسكرية أمام شوزاطي طرابلس الغرب وتونس والجزائر التي قصفت مرتين" جاك فريمون: المرجع السابق، ص 45.

78 نفس المصدر ، ص 148.

79 الميللي مبارك: المرجع، ص 262 انظر أيضا: عبد الله شريط ومحمد الميللي: الجزائر في

مرآة التاريخ ، مكتبة البعث ، قسنطينة، 1965، ص 134.

80 نفسه، ص 261

81 حول هذه التحصينات انظر: الميللي مبارك: المرجع نفسه ص 262.

عبد الجليل أكتيمي: المرجع السابق ص 239.

82 وصل الأسطول يوم 17 أوت 1816 حسب شالر أما حسب الميللي (مبارك) فقد وصل في

السادس والعشرين من نفس الشهر .

83 بوعزيز: المرجع السابق، ص 121.

84 انظر: الميللي: المرجع السابق ص ص 262. كذلك التيمي: المرجع السابق ص 257/258

شالر: المصدر السابق، ص 146. (H.DE) GRAMMONT :I CIT p 378.

85 شالر: المصدر السابق، 157

86 الزيري: المرجع السابق، ص 124

(*) فرنسا، هولندا، إيطاليا، اشبانيا، البرتغال، بريطانيا

87 شالر: المصدر السابق، ص ص 323-324

88 الزيري: المرجع السابق، ص 127

89 شالر: المصدر السابق، ص 124

90 الزهار: المصدر السابق، ص 153

91 شالر: المصدر السابق، ص 328

92 الزيري: المرجع السابق، ص 130

المصادر العربية

- بن المبارك أحمد (العطار): تاريخ قسنطينة، تحقيق: رابح بونار الجزائر، 1981
- بن ميمون محمد (الجزائر): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد عبد الكريم، ط1، ش و ن ت، الجزائر، 1972
- بن يوسف محمد (الزياني): دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، ش و ن ت، الجزائر 1978.
- حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تقديم وتحقيق وتعريب: محمد العربية الزبيري ش و ن. ت، الجزائر، 1975.
- الزهار أحمد الشريف: مذكرات نقيب إشراف الجزائر (1754-1836)، تحقيق ونشر: أحمد توفيق المدني، ش و ن ت، الجزائر 1974.
- شالرويليام: مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816/1824) تعريب، تعليق وتقديم: إسماعيل العربي، ش و ن ت، الجزائر 1982.
- العنتري محمد الصالح: القحط والمسغبة في بلد قسنطينة، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2330 (وضع بتاريخ).
- محمد حسن الأمير عبدالقادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر. شرح وتعليق: ممدوح حقي ج1، ط1 الإسكندرية 1903.

المراجع العربية:

- اجيرون شارل روبر: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمه: عيسى عصفور، منشورات عويدات ط1، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- بوعزيز يحيى: علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا (1500-1830)، د.م.ج الجزائر، 1980.
- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين (1792-1830)، ش و ن ت، الجزائر، 1972.
- الجليلي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج3، دم ج، الجزائر، 1989
- سبنسر ويليام: الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة و: عبد القادر زبادية ش و ن ت، الجزائر. د.ت
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.
- سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر، بداية الاحتلال، ط3، ش.و.ن.ت، الجزائر 1982.
- سليمان أحمد: النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، م و ك الجزائر، 1984.
- ناصر الدين سعيدوني: موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19، م و ف م، الجزائر، د.ت.
- ناصر الدين سعيدوني: الدين والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني م و ك الجزائر، د.ت.

- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، ج3، م و ك، الجزائر، 1988.
- فريمو جاك: فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران، ترجمة: هاشم صالح، ط1، الأرض للنشر، قبرص، 1991.
- قنان جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، م ج ط، الجزائر 1987.
- قنان جمال: دراسات في المقاومة والاستعمار، منشورات متحف المجاهد الجزائر، 1996.
- قنان جمال: العلاقات الفرنسية - الجزائر 1790-1830، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، ب ت .
- شحاتة ابراهيم: تطور العلاقات المغربية (1519/1947)، الاسكندرية 1981.
- مغنية الأزرق: نشوء الطبقات في الجزائر، ترجمة سمير كرم، بيروت، 1980
- نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985.
- ولف ج ب : الجزائر و أوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، م و ك الجزائر، 1986.

المصادر الفرنسية:

- HAEDO (D de) : Histoire des Rois d'Alger, trans : Grammont H, Alger, 1881.
- Grammont (Hde) : Histoire d'Algérie sous la domination turque (1515-1830), LEROUX, Paris, 1887.

المراجع الفرنسية:

- Auguste (c): L'établissement des dynasties des chérifs du Maroc et leur rivalité avec les turcs de la Régence d'Alger 1509-1830 : LEROUX, Paris, 1904.
- Ben Achenhou: L'Etat Algérien en 1830, SNED, Alger, SD.
- Julien (CH. A): Histoire de l'Afrique du Nord, Tunisie, Algérie Maroc. De la conquête arabe à 1830, VII.
- Khalassi (Ali); la Marine Algérienne à travers L'Histoire, musée centrale de l'armée, MDN, Alger, 1985.
- Marcel colombe L'Algérie turque in : jean Alazard et (AL) Initiation à L'Algérie, Paris, 1957.

- الدوريات:

- العربية:

- عمار بن خروف: العلاقات التونسية الجزائرية في عهد الدايات في مجلة الدراسات التاريخية، عدد 10، 1997.
- Berbrugger (A): L'Affaire Bacri d'après un document inédit in : Revue Africaine t 19, 1875.

- Julien (CH.A): Marseille et la question d'Alger avant la conquête in : Revue Africaine, T60, 1979.
- Gisenbeth (M): les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque 1516-1830, in
Revue Africaine T96, 1952.